دور الخطابة المنبرية في التطور اللغوي العربي في جنوب نيجيريا "خطبة الشيخ حبيب الله آدم نموذجا"

مسعود أجيبولا عبد الرحيم[*] ورحمة بنت أحمد الحاج عثمان[**]

ملخص البحث

إنّ الخطابة فن نثري وسلاح للعرب في الجاهلية، ووسيلة لنشر دين الله الحنيف في العصور الإسلامية، ولها دور فعّال في الحقل اللغوي الأدبي حيث تستخدم لمخاطبة الجماهير في المجتمع الإنساني، وفي تقدّمهم الحضاري والاجتماعي والثقافي. ولقد لعب هذا الفن دوره في نشر اللغة العربية وتطويرها في نيجيريا بصفة عامة وفي جنوب غربه بصفة خاصة. يهدف هذا البحث النظر إلى دور الخطابة المنبرية في تطوير اللغة العربية في الجنوب الغربي بنيجيريا (خطبة حبيب الله آدم عبد الله نموذجاً)، وقد يسأل السائل هل للخطابة المنبرية دور في تطوير اللغة العربية في الجنوب الغربي بنيجيريا،؟ وسيجيب هذه المقالة عليه نظراً إلى وضع اللغة العربية وتطورها فيه عبر عرض الخطبة المنبرية العربية للشيخ حبيب الله آدم عبد الله الإلوري.

الكلمات المفتاحية: الخطابة، تطور اللغة العربية، نيجيريا، الفن الكلامي، الدعوة.

Abstract

The Art of public speech prose is a weapon of the Arabs during the Jahiliyyah era, and a means of spreading the religion of Allah in the middle ages. It has an active role in the field of literary language where it has been used to address the crowd in the humanitarian community in the advancement of cultural, social and cultural rights. This art of prose

[*] محاضر بقسم اللغة العربية، كلية التربية إلورن، ولاية كورا، نيجيريا.

[**] أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

has played a major role in spreading the Arabic language and its development in Nigeria in general and South-west in particular, and the questioner asks; Is there a role played by public speech in the development of the Arabic language in South-West of Nigeria? This paper will respond to the question, owing to the development of Arabic language and its development through the Arabic public speech (Al-khutubah) of Sheikh Habeebllahi Adam Abdullah Al-Ilory.

Key words: Oratory, evolution of the Arabic language, Nigeria, Rhetorical Art, Call

Abstrak

Seni ucapan awam prosa merupakan senjata bagi orang-orang arab semasa era jahiliah, dan kaedah untuk menyebarkan agama Allah (swt) di zaman pertengahan. Ia mempunyai peranan yang aktif dalam bidang kesusasteraan bahasa di mana ia telah digunakan untuk dialamatkan kepada orang ramai di antara masyarakat kemanusiaan untuk kemajuan kebudayaan, hak-hak sosial dan kebudayaan. Seni prosa ini telah memainkan peranan utama dalam penyebaran bahasa Arab dan perkembanganya secara umum di Nigeria dan khususnya di Selatan-Barat, dan penyoal bertanya; Adakah ucapan awam memainkan peranan penting bagi perkembangan bahasa Arab di Selatan-Barat Nigeria? Karya ini akan memberi respons kepada soalan itu, terhutang budi kepada perkembangan bahasa Arab dan perkembangannya melalui ucapan awam bahasa Arab (Al-Khutubah) Sheikh Habeebllahi Adam Abdullah Al-Ilory.

Kata Kunci: Seni Pidato, Evolusi Bahasa Arab, Seni Retorik, Panggilan, Menyeru

المقدمة

إن النثر أسبق أنواع الكلام في الوجود لقرب تناوله، وعدم تقيده، وضرورة استعماله، ومن ضمنه الخطابة التي هي مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية يطلب بها الإقناع والاستمالة والتأثير في السامعين على أمر من أمور جارٍ في مجتمعهم على وجه

خاص وعلى سكانه على وجه عام، وهذه الوظيفة تجري على أفواه الخطباء الأجلاء في كل مجتمع بصفة عامة وجنوب نيجيريا بصفة خاصة، معتمدا أساسا على استعمال اللغة العربية استعمالاً جيداً مبنياً على طرائق الإقناع والاستمالة. ونظراً إلى أهمية هذا الفن الكلامي من الناحية اللغوية والاجتماعية، ذكرت مرورها عبر العصور المختلفة، بداية من العصر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي وعصر النهضة. واللغة العربية بأهميتها تتسم بتطوير وتطويع كامل لإعداد أجيال إعداداً، ويتجلى ذلك في التعبير والفهم والنطق والكتابة في أسلوبها وأدبها وثقافتها، وهي لغة حية لها القدرة في تقدم مجتمع المسلمين علمياً وتكنولوجيا.

وقد لاحظت في الناس ظناً كأن ليس للخطابة المنبرية دور في التطور اللغوي في جنوب نيجيريا وخاصة اللغة العربية –لغة القرآن– فإن هذه الورقة المتواضعة ستبيّن دور الخطابة في تطور اللغة العربية في جنوب نيجيريا، لكونها فناً نثرياً، بين أبناء المسلمين، ومؤيداً كما كانت للخطابة فضلها وشرفها عند العرب، على وصفها سلاحاً لهم في الجاهلية ووسيلة لنشر دين الله الحنيف، وتنمية لعقيدته في العصور الأخرى، كانت لها فضلها وشرفها أيضا في تطوير اللغة العربية وآدابها في جنوب نيجيريا، وتبقى ببقاء القرآن فيهم.

1. الخطابة مفهومها وتاريخها عبر العصور المختلفة:

1.1. الخطابة:

مصدر فعله خطب من باب قتل، يتعدى بنفسه وبحرف الجر قال الجوهري: خطب على المنبر خطبة، بضم الخاء وخطابة ويقال: فلان خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم، والجمع خطباء.

قال ابن المنظور في لسان العرب: والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر وأما الخطبة بالكسر فهي طلب المرأة للزواج. وفي الحديث: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطب الرجل على خطبة أخيه.[1]

وأما في المعجم الوسيط، الخطابة مصدر من فعلين: أولهما: خطب يخطب خطابة وخطبة، والفعل يتعدى بنفسه وبحرف "في"و"على"، يقال خطب الناس وخطب فيهم وخطب عليهم أي ألقى عليهم خطبة. الثاني:خطب يخطب خطبة أي صار خطيباً.[2]فالخطابة من الفعل الأول تدل على أنها مصدر بمعنى الخطبة والخطاب هو الكلام الذي يلقيه المتحدّث على الجماعة، والخطابة التي جاءت من الفعل الثاني تدل على القيام بعمل الخطابة والقائم بها يسمى خطيباً وجمعه خطباءكما ذكرنا أعلاه.

وإذا أطلقنا كلمة "الخطابة" فإنها تدل على القيام بعمل الخطابة والكلام أو الخطاب، وتشير أيضاً إلى عملية المواجهة بالكلام مع طلب الإصغاء بين المتحدث والمستمعين، لأنهم في العادة يتجهون نحو المتحدث إليهم لسماع خطابه لهم، وكذلك المتحدث يكون في مواجهة الجماعة ليلقي عليهم الخطاب، فالطرفان في المواجهة عادة ويشتركان في تكوين عمل الخطابة وإنجاحها.

وقد وضع العلماء عدة تعريفات للخطابة، وقد أدلى أرسطو بدلوه: إن الخطابة هي القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في أي مسألة من المسائل.[3] ورأى ابن رشد، أن الخطابة هي: قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد

---

[1] **لسان العرب**، و**مختار الصحاح**، و**المصبح المنير**، في مادة خطب.

[2] مجمع اللغة العربية، 1985، **المعجم الوسيط** ،ج1، ص242 و243.

[3] أرسطو، 1958، **الخطابة**، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية. ص90.

من الأشياء المفردة.[4] وقيل: "أنها فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشمل على الإقناع والاستمالة والتأثير.[5] فيقرر محمد طاهر درويش، أنها فن من فنون القول يخاطب به الجمهور ويتجه إلى الإقناع والاستمالة بالسمع والبصر معاً.[6]

والذي ينظر إلى تعريف أرسطو وابن رشد يجد أنهما يدوران حول تعريف الخطيب صاحب القدرة على الإقناع والتأثير. وهذا ليس هو المراد، وإنما المراد تعريف الخطابة بالمعنى العام، ونلاحظ أن أوضح التعريف وأدقها ما ذكرناه سابقا أنها فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشمل على الإقناع والاستمالة والتأثير. ولقد أشار "الهندوي" إلى العناصر المهمة في التعريف الشامل للخطابة هي:-

أولاً: أن يكون الحديث مخاطبة الجمهور من الناس.

ثانياً: أن يكون بطريقة إلقائية.[7] ويراد بها أسلوب التحدث إلى الناس، وتطوير المعلومات بها إلى أذهانهم وقلوبهم.[8]

ثالثاً: أن يكون الخطبة مقنعة بحيث تشتمل على أدلة وبراهين تثبت صحة الفكرة التي تدعو إليها الخطيب.

---

[4] أبي الوليد، ابن رشد، **تلخيص الخطابة**، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية،ص 15.

[5] سلبي، عبد الجليل عبده، 1986، **الخطابة وإعداد الخطيب**، دار شروق، القاهرة، ص15.

[6] محمد طاهر درويش، (1968)، **الخطابة في الصدر الإسلام**، دار المعارف، بيروت، ص1.

[7] الهنداوي، فريد ابن أمين إبراهيم، (2005)،**دليل الخطيب**، ط1، دار الثقافة ، الدوحة، قطر ،ص7.

[8] المصطاوي، عبد الرحمن، (2002) ، **مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطبة المنبرية**، ط1، دار العرفة للطباعة والنشر، بيروت، ص14.

رابعاً: أن يتوافر في الخطبة عنصر الاستمالة، وهذا يعني توجيه عواطف السامعين واستجابتهم للرأي الذي تدعو إليه الخطيب، لأن السامع قد يقتنع بفكرة ما، ولكن لا يعنيه أن ينفذها أو أن تتحقق من غيره فلا يسعى لتحقيقها.[9]

1.2. موضـــوعها:

لقد اعتبر بعض الباحثين في تعريفهم أن الخطابة علم من العلوم، فلابد له من الموضوع، وقد قال ابن رشد ناقلاً عن أرسطو: ليس "للخطابة موضوع خاص، تبحث عنه بمعزل عن غيره، فإنها لا تخيم عن النظر في كل العلوم والفنون، ولا شيء حقيراً كان أو جليلاً معقولاً أو محسوساً إلا يدخل تحت حكمها؛ ويخضع لسلطان لسانها؛ ومن ثم يترتب على الخطيب أن يكون له إلمام بكل صنف من المعارف، بل ينبغي له أن يوسع كل يوم نطاق مداركه، وذلك حق لا ريب فيه؛ فإن كل مسألة عامة، أولها صلة بشأن عام، يصح أن تكون موضوع الخطابة: كحب الوطن، وإقامة العدالة وتسكين الفتن، وتمسك بالفضيلة وغير ذلك، بل من السائل الخاصة؛ كالخصومات؛ والعقود، والمدينات ونحو ذلك.[10] ويمكن تقسيم تاريخها عبر العصور إلى خمسة أقسام:-

1.3. الخطابة في العصر الجاهلي:

تاريخياً حدد الأدباء والعلماء العصر الجاهلي في قرن ونصف، حيث بدأ في مائة وخمسين قبل الإسلام وينتهي بظهوره،[11]لقد اشتهرت الخطابة الأدبية في ذلك العصر لما كان العرب من النعرة، والحمية وشن الغارات في المدافعة عن النفس والمال

---

[9] الهنداوي، فريد بن أمين إبراهيم، المرجع السابق، ص7-8.

[10] أبو وهرة، محمد (1934)، **الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب** ،ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، ص16.

[11] علي، محفوظ، (1984)، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، دار النصر للطباعة الإسلامي، مصر، ص21.

والعرض والمفاخرة بالشعر والخطب في الحسب والنسب وقوة العصبية، وشرف الخصال من الشجاعة والكرم والنجدة، وحماية الجار، فكانت الخطابة فيهم فطرية ولهم ضرورية مع ما فيهم من ذلاقة اللسان وقوة البيان قضت بها طبيعتها المعيشة...، ولا عجب في أن يكون في الكثير قبل الإسلام تلك الخطابة الممتازة فإن الخطابة أثر انفعالات تنشأ عن حوادث تمس الجماعات.[12]

ولقد أفادنا عبد الرحمن المصطاوي علماً، في كتابه **مرشد الخطيب** أن العرب في جاهليتهم كانت لهم خطب قوية وأنهم اعتمدوا عليها في مواقفهم الهامة، واستعملوها في مجتمعاتهم ودعواتهم للحرب أو السلم، وقد ذهب الكثير جدا من هذه الخطب مع الزمن، وحفظ لنا التاريخ قليلاً جدا منها.[13] وبذلك أصبحت الخطب الجاهليين ومحاورتهم ووصاياهم كلها مما يستعين به الخطيب الحديث، ويجد فيها مدداً واسعاً بالرأي والفكر، وبالتعبير والبلاغة.

1.4. الخطابة في صدر الإسلام :

اعتمد الإسلام الخطابة لحاجته ماسة إلى الخطابة والإلقاء كأداة التبليغ الرسالة وتفنيد حجج الخصوم، وإعلان القيم الإسلام ومثله وآدابه وأحكامه، وأصبحت وسيلة الدعاة المفضلة، بل صارت شعيرة من شعائر بعض العبادات. فهي جزء من صلاة الجمعة الأسبوعية والصلاة العيدين، وصلاة الاستسقاء. وهي القناة لإبلاغ المسلمين عندما يحزنهم أمر أو يلم بهم خطْب أو تظهر الحاجة لاستنهاض الناس واستنفارهم.

---

[12] علي، محفوظ، المرجع نفسه، ص28.

[13] المصطاوي، عبد الرحمن، **مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطبة المنبرية**، ص28. وانظر: ضيف، شوقي، (1977)، **العصر الجاهلي**، دار المعارف، ص419.

لقد كان عامل أساسي لارتقاء الخطابة في هذا العصر هو القرآن الكريم والحديث النبوي، قال الدكتور علي محفوظ: إنّ ارتقاء الخطابة وتهذيبها هو القرآن الكريم والحديث النبوي، وذلك بأخذ اللغة العربية عند ظهور الإسلام صيغة دينية من القيام بالدعوة، والنصح، والإرشادات التي تبين العقائد الصحيحة وقواعد الإسلام وأصوله المحكمة وأحكامه العادلة وحكمه البالغة وآدابه العالية.[14]

وبهذا امتازت الخطابة في هذا العصر بأمور كثيرة، من أهمها: "أنها أخذت وجهة دينية مثل خطب الوعظ والإرشاد، واتبعت خطة سياسة مثل تكوين الأحزاب وتأليف الجماعات، ولصفاء ألفاظها وسهولة عباراتها، وقوة تأثيرها ووصولها إلى سويداء القلب وامتلاكها الوجدان والشعور مما يرقق القلوب القاسية والأعين الجامدة، وكانت محاكاتها أسلوب القرآن الكريم في الإقناع، وحسن بدايتها بحمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه"[15]،وأصبحت الخطابة تقاليد ومنهج في هذا العصر، فهي تبدأ بحمد الله والثناء عليه والسلام على رسوله، وأشهر استعمالهم بعبارة "أما بعد"...وسموا خطبة التي لم تبدأ بحمد الله والثّناء عليه"البتراء"[16].

1.5. الخطابة في العصر الأموي:

أما في هذا العصر الأموي فقد ازدهرت الخطابة وبلغت ذروتها، وتنوعت أغراضها بين الغرض السياسي والديني والعقلي، وكان للأحزاب السياسية دور كبير في نهضة الخطابة، إذ كانت سلاحاً من أسلحتهم في الدعوة لأحزابهم ومبادئها.

---

14 علي محفوظ: المرجع السابق، ص25.

15 علي، محفوظ، **فن الخطابة وإعداد الخطيب**،

16 بدوي، طبانة، (1975)، **السرقات الأدبية دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها**، ط4، مكتبة الأنجلو، المصرية، القاهرة، ص22.

وكذلك كانت الظروف الاجتماعية والأدبية تساعد إلى حد بعيد على ازدهارها ورقيها."فالثورات السّياسية وكثرة الحروب والفتوحات، واشتداد الخلاف بين الأحزاب التي نشأت، وكثرت في هذا العهد من شيعة وأمويين وخوارج وزبيريين وروافد وسواهم، والتنازع بين العقائد والمبادئ كل ذلك عمل عمله في نهضة الخطابة وسموها".[17]

وقد قال حنا الفاخوري: أن الخطابة فشت فشواً عظيما وأحبها الناس فحفلت بها النوادي والمجالس وقصور الخلفاء والأمراء، وأماكن القضاء والبيوت الخاصة، وذلك لتوفّر دواعيها الكثيرة من أهمها:

-دين جديد يبث دعوته ويناضل خصومه وينطق الوعّظ على منابره لتغذية الشعور الديني القوي.

-أمة تتوحّد تحت نظام اجتماعي يوحّد العرب في ظل عليا ويحتاج إلى توطيد، وتثبيت، وتفاهم بين الرعاة والراعية في زمن كان أكثر الاعتماد فيه على الألسنة لا على الأقلام.

-دولة تفتتح جيوشها البلاد فتخضع لها خرسان وبلاد الترك وسجستان والسند وأفريقية والمغرب والأندلس وغيرها، ويبعث قوادها في صدور جنودها الحماسة والشجاعة والفخر بالنصر والسرور ببشرى الظفر.

-أحزاب تتجادل، وعصبيات تتنازع، ووفود تتقاطر على الخلفاء والأمراء والولاة.

---

[17] حفاجى، عبد المنعم، (1990)، **الأدب العربي وتاريخه في العصر ين الأموي والعباسي**، دار الجبل، بيروت، ص236.

-حفلات تقام في دار الخليفة يظهر فيها الخطباء فصاحتهم.

-مفاخرات ومناقضات ومحاورات في السياسة والاجتماع والآداب بين العرب.[18]

وأهم بيئة التي نمت فيها الخطابة في ذلك العصر هي الحجاز أولاً ثم العراق خصوصاً، وتختلف أغراضها باختلاف دواعيها. ومن أشهر الخطباء سياسياً، زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي في الحزب الأموي، والمختار الثقفي في الحزب الشيعي، وقطري بن الفجاءة في حزب الخوارج، وأشهرهم في الخطابة الاجتماعية ، الأحنف بن قيس زعيم تميم بالبصرة، وأشهرهم في الخطابة الدينية، تميم الداري بالمدينة، والحسن البصري، وواصل بن عطاء، وأفضل بن عيسى في العراق، وغيلان والأوزاعي في الشام.[19]

1.6. الخطابة في العصر العباسي:

في العصر العباسي نشطت الخطابة السياسية؛ إذ اتخذت أداة في بيان حق العباسيين في الحكم. وفي هذا العصر انبعثت في جسم الخطابة الواهن حركة حياة بسبب الخصومات التي كان لابد أن تواجهها أول قيامها، ولكن ما لبثت الدولة أن قضت على هذه الخصومة فعادت الخطابة إلى همود أبلغ وركود أشد. وذلك في الأمور السياسية والحفلة. وأما الخطابة الدينية فقد ظلت على ازدهارها ويعد من أعلامها صالح بن عبد الجليل واعظ المهدي، وابن السماك واعظ الرشيد. وقد قال الدكتور شوق ضيف" إن الخطابة ضعفت في العصر العباسي سياسية وحفلة، وذلك

[18] حنا الفاخوري، (1991)، **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**، ط2، دار الجبل، بيروت. ص317-318.

[19] حنا الفاخوري، المرجع نفسه، ص318-319.

على ألسنة الولاة والخلفاء إلا أنها ظلت مزدهرة في بيئة الوعاظ، والنساك في مساجد بغداد والبصرة والكوفة"[20].

1.7. الخطابة في العصر النهضة:

تعتبر مطلع الخطابة في هذا العصر سيئة الحال، لقد أفادنا حنا الفاخوري في هذا الصدد علماً أن الخطابة "كانت قبل عصر النهضة وفي مطلعه سيئة الحال لا يكاد يسمع لها صوت في غير المعابد والمساجد، وذلك لفقدان الحرية وخمود الوعي القومي.فقد عقل الظلم والاستبداد ألسنة الخلفاء فجمد الشعور القومي فجمدت معه الجهود في سبيل الحرية. وظلت الحال على ما هي حتى انتصف القرن التاسع عشر سرى في العروق دم جديد، وانفتحت العيون على الظلم، وشعر كل بما له من حقوق وما عليه من واجبات نحو المجتمع والوطن. وكانت الثورات العربية في مصر من مظاهر الوعي القومي ومن أكبر حوافز الخطابة، ثم كانت الأندية السياسية والاجتماعية، والجمعيات العلمية والأدبية، ونظم القضاء، وإنشاء المحاكم الأهلية ونظم المرافعات، فاتسع المجال للخطباء، وقد انتعشت فيهم الملكة العربية، ووثبت الخطابة وثبة عظيمة نحو الرقي والكمال في شتى المجالات".[21] ومن خطباء هذا العصر محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، وأحمد فتحي زغلول، ومصطفى كامل، وسعد زغلول، وغيرهم. وكانت لهذا الفن الكلامي أغراضها.

1.8. أغراض الخطابة:

[20] ضيف، سوقي، (1966)، **العصر العباسي الأول**، ط8، دار المعارف، القاهرة، ص452.
[21] حنا الفاخوري، **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**، ص934.

إن الخطابة كدورها في المجتمع لها أغراضها المختلفة، وقد ازدهرت الخطابة في العصر الأموي كما ذكرنا سابقا، وهذا الازدهار هيّأ لها أسباباً وأغراضاً منها الدينية والاجتماعية والسياسية.

أولاً: **الخطابة الدينية:**

فالخطابة الدينية والوعظ، نمت نمواً واسعاً في العصر المذكور أعلاه، وإن مفهوم الدين لا بد أن يعلن أمام جمهور الدولة أو الولاية أو المدينة إيمانا أن الدين في وضعه الشرعي السليم هو الإيمان بالصدق بالله سبحانه وتعالى وذلك ما أمر به وما صدر عنه من عمل بمقتضى هذا الإيمان يقوم على طاعته، وأن المصلحة فيما شرعه من أحكام القوانين في العبادات والمعاملات.[22]

وفي صدر الإسلام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب العرب قاطبة، وأشهر خطبه تلك التي خطبها في"**حجة الوداع**"،"كان يخطب في قريش كثيرا يدعوهم إلى الإسلام، والدخول في طاعة الله ومحبته، ولما هاجر إلى المدينة أصبحت الخطابة فريضة مكتوبة في صلاة الجمعة والعيدين، وبذلك عرفت العرب ضربا منظماً من الخطابة الدينية لم يكونوا يعرفونه في الجاهلية إذ كانت خطابتهم اجتماعية. وتحتفظ كتب الحديث الصحيحة بتقاليد الرسول صلوات الله عليه في خطابته سواء في الجمعة أو في صلاة العيدين.[23]

قال المصطاوي: إن الخطابة الدينية دائما ذات المغزى شريف وأغراض سامية نبيلة لأنها دائما تلفت الذهن إلى الجزاء الأخروي، وتحذر من الحساب على الأعمال

[22] ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، ص52.

[23] الكاتبي، إبراهيم أحمد سعد الدين، **الأسلوب الحديث في الخطب المنبرية في غرب إفريقيا**، ط1، إلورن، نيجيريا، ص4.

وتذكر بالوقوف أمام الله تعالى فهي ترفع الإنسان عن الأغراض المادية وتتسامى به إلى المعنويات.[24]

ثانيا الخطابة الاجتماعية:

فالغرض الاجتماعي ما يوجه أفراد المجتمع توجيها إسلامياً كما توجه الجماعات حتى شمل الأمة التي تتكون من عدة شعوب وقبائل ودول تجمعها وحدة الجنس والدين واللغة والثقافة، بل يتسع إلى العلم البشري، فهم بهذا الاعتبار أسوة واحدة نقوم جميعاً على الاتحاد وروابط والصلات. لذا تتسم جماعات الإسلام بعادات وتقاليد وثقافات الإسلام.[25]

لقد بيّن المصطاوي، أن الخطابة الاجتماعية "تلك الخطبة التي تلقي في موضوع يهم المجتمع ويعود عليه بعض القواعد، ومن أمثلة ذلك: أن يدعو خطيب القرية لإنشاء مدرسة، أو نادٍ بها أو إقامة جسر أو يدعو شخص في مجتمع ما لإنشاء دار أمومة تساعد المرأة الموظفة".[26]

ثالثا الخطابة السياسية:

الغرض السياسي من أغراض الخطابة في الجاهلية والعصور الإسلامية السابقة، كان كل حزب من الأحزاب السياسية يتخذ الخطابة وسيلة إلى نقد خصومة وبيان طريقه السياسية، واستمالة الناس إليها، خلافاً عن وظيفتها في العصر الحديث حيث إن الخطابة السياسة بمفهومها عند الخطباء في العصر الحديث "ينبئ عن حسن الإدارة، وجودة القيادة والعناية بين الراعي والمرعية والرئيس والمرؤوس حتى شمل سياسة

---

[24] المصطاوي عبد الرحمن، **مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطبة المنبرية**، ص25.

[25] أحمد غلوسي، **علم الخطابة**، ط1،ص81.

[26] المصطاوي عبد الرحمن، **مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطبة المنبرية**، ص23.

الوطن وحضارة وثقافة كل هذا تنشط في الخطيب السياسي بالتوجيهات إليها دائما. ورياسة الإمام في المساجد والرجال في البيوت بين الزوجات والبنين والحفدة أدل على إباحة السياسة في الحياة الاجتماعية"[27].

اللغة وتطوّرها في جنوب نيجيريا.

اللغة

لغة كل قوم هي عنوان هويتهم وحضارتهم، ووعاء تراثهم وتاريخهم، وهي الجسر الذي يربط بين أجيالهم، بها يفكرون، وبواسطتها يُعبِّرون ويتواصلون. وقد أجمع علماء اللغة، والمفكرون وغيرهم على أهميتها ومكانها وتطورها في المجتمعات الإنسانية، بل إن بعضهم اعتبر أنها تشكل العالم وتصنع الشعوب والحضارات، وهذا كلها تجري عن طريق دورها وصلتها بالخطابة المنبرية العربية في مجتمع نيجيري وغيره، وإن النطق باللفظ الواحد يبدأ شعور بالحاجة لأداء غرض معين، ومن ثم ينقل هذا الشعور من إدراك أو العقل إلى المخ ثم يصدر المخ أمره عن طريق الأعصاب للنطق باللفظ المطلوب.

لقد جاءت كلمة "اللغة" في لسان العرب على وزن فُعلة من فعل لغوت: أي تكلمت، وأصل لُغة: لُغوة، فحذفت واوها، وجمعت على لُغات، ولُغُوت، واللغو: النطق، يقال: هذه لُغتهم التي يلغون بها أي ينطقون.[28] ومنهم من يرى أن لفظ "لغة" قد تكون مأخوذة من "لوغوس" اليونانية، ومعناها "كلمة".[29] وقد ورد في القرآن

[27] جمعية الدعوة الإسلامية، **الأدب والنصوص والبلاغة**، ليبيا، ص397.

[28] ابن منظور(1300هـ)، **لسان العرب**،ج20،ط1،المطبعة الكبرى المصرية،بيولاق، مصر،ص116.

[29] لويس معلوف(1966)، **المنجد**،المطبعة الكاثوليكية، ط19،بيروت، ص726.

قوله تعالى: {**وإذا مروا باللغو مروا كراماً**}[فرقان:72]. وجاء في الحديث الشريف كما في موطأ "إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت"[30] أي "تكلمت"، لكن فيما لاتنفع ولا فائدة فيه.

ولم ترد لفظة "لُغة"في القرآن الكريم، وإنما ورد مكانها"اللسان"، قال تعالى: {**وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسان قومه ليبيّن لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم**}[إبراهيم:4]. وهذه الآية تدل على فضل اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية بها يحدث تطور في المجتمع الإنساني عقلياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً.

وإذا أردنا أن نعرّف اللغة في الاصطلاح ، فإننا نجد أنفسنا أمام تعريفات عديدة مختلفة باختلاف منطلقات أصحابها الفكرية وزوايا النظر. فمن تعريف وصفي خارجيٍ، إلى تعريف نفسي داخلي، إلى آخر فلسفي، وأول من عرّف اللغة أبو الفتح عثمان ابن جني في كتابه الخصائص، وهذا التعريف للغة يبدو أكثر إحاطة من بعض التعريفات العصرية، يقول ابن جني في تعريفه للغة "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[31]. ويعدّ تعريف ابن جني تعريفاً جامعا مانعا، حيث يتضمن العناصر الأساس للغة المجمع عليها وهي: أنها نظام صوتي، وأنها تستخدم من طرف مجتمع إنساني، وأنها أداة للتواصل والتعبير عن المشاعر والأفكار.

---

[30] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (د.ت)، **تنوير الحوالك شرح على موطأ الإمام مالك**، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة. ص185.

[31] ابن جني، أبو الفتح عثمان، (د.ت)، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار،ج1،ص33.

وباعتبار اللغة نظاماً صوتياً، فإن الأصل فيها أن تكون مسموعة، لكن مع ظهور الكتابة بالرسم أو بالحرف أصبح لدينا لغة مقروءة إلى جانب اللغة المسموعة.

وقال ابن سينان الخفاجى إن اللغة "هي ما يتواضع القوم عليه من الكلام.[32] وأفادنا ابن سينان بهذا التعريف علماً أن اللغة لابد من المتواضعة التي اتفقت عليها القوم في تسمية أي مسمى من الأشياء، وذلك لغرض الإبانة عن الأشياء المعلومات، وخلاصة القول هنا إن اللغة هي مواضعة القوم للكلام. وأشار ابن خلدون في تعريفه للغة أنها "عبارة المتكلم عن مقصوده. وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام. ولابد أن تصير ملكة متكررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان. وهو في كل أمة حسب اصطلاحاتها.[33] وكانت لها وظائفها تؤديها في المجتمع إذاً وما هذه الوظائف؟

وظيفة اللغة وتطورها:

اللغة وسيلة الاتصال بين البشر، بل هي أهم وسائل الاتصال بينهم، وهي وسيلة بالتفكير أيضاً؛ وهي أهم وسيلة لاكتساب المعلومات من الآخرين أو نقلها إليهم، والتوصل بين البشر يتم بالاستماع إليهم أو قراءة ما كتبوه، ونقل الأفكار والأحاسيس إليهم يتم بالتحدث معهم أو الكتابة لهم. وقد ذكر الدكتور محمد صلاح الدين أن اللغة وعاء الأفكار وأداة لنقلها إلى الآخرين، وليس شيئا جامداً

[32] الخفاجى، عبد الله بن محمد بن سعيد بن سينان، (د.ت)، **سر الفصاحة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص48.

[33] ابن خلدون، عبد الرحمن، 1979، **المقدمة**، دار النهضة، القاهرة.

ساكناً من الألفاظ لا علاقة بينها ولا ترابط بين تراكيبها ولكنها أداة فعّالة فيها الترابط وفيها الأفكار وفيها العلاقة، وفيها فكر الإنسان ينقل إلى الآخرين وفكر الآخرين ينقل إليه.[34] وهذا يعطينا بياناً عن اللغة بوظيفتها أداة الاتصال في التعبير عما في ضمير، وفقاً بما أفادنا ابن جني علماً في تعريفه المذكور سابقاً. وهذا تسبب تطور اللغوي في المجتمع، وما التطور اللغوي.؟

يتعلق مفهوم التطور اللغوي بالتغيرات الطارئة على العالم، فهو عملية تكشف عن الاتجاهات والعوامل الخارجية والداخلية للظواهر، تؤدي إلى ظهور الجديد، فالواقع لا تبقى ظواهره على حالة واحدة ثابتة، وإنما قدر هذه الظاهرة أن تهب عليها رياح التبدل والتغير، وأن يكون للزمن عليها سلطان لا يقهر، فإن لها تاريخاً، وهي منذ ظهورها إلى وقت زوالها تنتقل من حال إلى حال جديد.

إن اللغة مثل سائر الظواهر الاجتماعية خاضعة للتطور، وهي لا تتوقف عن التطور إلا إذ انقطعت عن الاستعمال فعدت لغة ميتة. ويرتبط التطور اللغوي بعوامل متعددة يمكن أن يجمعها محوران، يتعلق المحور الأول بعوامل التطور الخارجية، ويتعلق الثاني بعوامل التطور الداخلية.

فالخارجية، هي العوامل الخارجية عن إطار اللغة، فهي ترد على اللغة فتغير بنيتها وأحكامها وإن كانت غير ذات طبيعة لغوية، فظروف الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية، والنفسية، والجغرافية، تعتبر عوامل خارجية. إضافة إلى هذا من عوامل التطور الخارجية أن تنتشر اللغة في الخارج وأن يزداد عدد المتكلمين بها. ولا شك أن

[34] مجاور، محمد صلاح الدين، (2000)، **تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية**، الطبع والنشر دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، ص363.

هذه العوامل الخارجية تساهم جميعها في تطور اللغة.[35] إذن فإن اللغة كأي كائن حيّ، تولد وتنمو وتشب وتشيخ وقد تموت في المجتمع إذا لم تتوفر لها عوامل الاستمرار والتطور، وهي في ذلك مرهونة بالتطور الفكري والحضاري لمجتمعها. فعندما يتطور المجتمع حضاريًا يتطور لغوياً والعكس صحيح. وأما العوامل الداخلية هي التي تتبع من اللغة نفسها فهي إذاً عوامل لغوية ذاتية تكمن في طبيعة اللغة وعل هذا الأساس فإن اللغة قد كتب عليها التطور وإن لم توجد عوامل خارجية.

لقد نالت اللغة العربية تطور جذورها في جنوب نيجيريا عن طريق البرنامج العلمية الثقافية تقام في الحفلات العديد المختلفة من حفلة مولد النبي وهجرته، وحفلة الزفاف، ترى الطلاب العربية يأخذون أقلامهم ويكتبون مقالات نثرية وفقاً للمقام، ومنهم يقول شعراً مناسباً للمناسبات المذكورة. وكذلك حركة دعوية لها دورها لا حد لها في تطوير اللغة العربية في جنوب نيجيريا.

2. دور الخطابة في التطور اللغوي العربي في جنوب نيجيريا.

لقد ذكرنا سابقاً أن الخطابة فن نثري لمخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشمل على الإقناع والاستمالة والتأثر، وإذا تأملنا ما عرضنا حول التطور اللغوي نجد أن للخطابة دور فعّال لا حد لها في انتشار اللغة العربية وتطورها في جنوب نيجيري، لأن اللغة تتطور عن طريق استخدامها قياسياً في مخاطبة الجماهير يومياً أكانت أم أسبوعياً أم سنوياً. والقياس عامل من أهم عوامل التطور اللغوي العربي، وهو مبدأ من مبادئ التجديد والخلق والإبداع في اللغة. وللقياس الخاطئ أثره البالغ في تطوير

[35] نور الهدى لوشن، (2007)، **مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، دار الفتح للتجليد الفني، الإسكندرية، ص195.

اللغة العربية أيضا. فالأخطاء التي تؤدي عليها تمثل محاولة غير واعية لتبسيط المسائل اللغوية والقضاء على ما شذ منها، وبذلك تتخلص ذاكرة المتكلم من حفظ ما يرهقها من الظواهر التي لا تستجيب لقواعد اللغة ومتطلبات القياس اللغوي.

وجدير بالذكر أن عامل دلالي في الخطابة له دوره في التطور اللغوي العربي في جنوب نيجيريا، لأن استخدام الكلمات يحدد التطور الدلالي، تبعا لاستعمالات التي تستخدم فيها الكلمات فإذا أخذنا— على سبيل المثال — كلمات الصلاة، والصوم، والمؤمن، والكافر، والإسلام، إن هذه الكلمات تدل على مدلولات معينة قبل مجيء الإسلام ومع الإسلام استخدمت هذه الكلمات استخدامات معينة واستعملت استعمالات خاصة. فالحياة الدينية استتبعت وجود مصطلحات كثيرة لم تكن معروفة من قبل، فانتقلت الألفاظ من معانيها اللغوية الأولى للدلالة على ما جدّ في حياة العربية عن طريق الإسلام، كما كانت مذكورة أعلاه، فهذا أيضا عامل من عوامل أساسية لعبتها الخطابة في التطوير اللغوي العربي في جنوب نيجيريا،

وأيضا، تعتبر انتقال اللغة من السلف إلى الخلف عاملاً من عوامل التطور الدلالي اللغوي وخاصة في جنوب نيجيريا وفي مجتمع المسلمين عامة، لأن الخطيب المنبري كثيراً ما يستخدم كلمات مثل أسماء الشهور "كرجب ورمضان كان يطلق على فترات محددة"[36]، ومجموعة الإبل، والبريد على الدابة التي يحمل الأخبار، والسيارة على المجموعة السائرة؟.

وإذا كان الأمر كذلك فإن للخطابة المنبرية وغيرها دور حضاري متميز ممتازة في الحفاظ على اللغة العربية وتطورها اجتماعيا من حيث نقلها من السلف إلى

---

[36] عكاشة،، محمود2002، **الدلالة اللفظية**، مكتبة الانجلو المصرية، ص123.

الخلف. وهذا ما يتطرق مراراً وتكراراً في خطبة الشيخ حبيب الله آدم الإلوري، وذلك باستخدامه للألفاظ العربية ذات صلة بالدين والثقافة الإسلامية على منبره. وبها تأثر في نفس سامعيه بأسلوبه الفعّال معتقدين أن هذه اللغة ليست لغة العرب وإنما لغة المسلمين عامة موروثة من أسلافنا عن طريق القرآن الكريم. وقد تحدث ابن فارس عن"أفضليتها" على سائر اللغات عارضا للأسباب يراها، وأهمها أنها لغة الوحي الكريم، وأن بها من الألفاظ المترادفة ما لا يوجد في لغة أخرى. وقرره الثعالبي أنها"خير اللغات والألسنة" وجعل السبب في ذلك نزول القرآن الكريم بها"[37]. وها هنا نموذج يسير يبين لنا مدى دور الخطابة المنبرية في التطور اللغوي العربي في جنوب نيجيري. مما يقدمها الخطيب المنبري المفلق حبيب الله آدم الإلوري.

3. ترجمة حياة الشيخ محمد حبيب الله آدم الإلوري

ولد الأستاذ الفاضل محمد حبيب الله بن آدم عبد الله الإلوري بمدينة لاغوس عاصمة نيجيريا قديماً عام 1958م، وذلك العام الذي بدأ أبوه المرحوم صلاة الجمعة في مسجده.[38]

تلقى تعليمه الابتدائية بداية من"أحمد ميموريا، وتخرج منها في عام 1970م، ثم المرحلة المتوسط في إحدى المدارس في العاصمة المذكورة، اسمها "أحمدية"، وتخرج منها عام 1974م إضافة إلى هذا درس الأستاذ الفاضل محمد حبيب الله العلوم

[37] أنظر: الزاجحي، عبده، 1996،**فقه اللغة في الكتب العربية**، دار المعرفة الجامعية ، الشاتبي الإسكندرية، ص100.

[38] الإلوري، محمد حبيب الله آدم عبد الله (2001)، **الإسلام هو الحل الوحيد**، ط1، مطبعة الثقافة الإسلامية، لاغوس، ص6.

العربية والإسلامية في مركز التعليم العربي الإسلامي الذي أسسه والده الشيخ آدم عبد الله الإلوري، فقد استطاع حبيب الله أن يجمع بين الثقافتين العربية والغربية.

وفي عام 1981م سافر إلى مدينة "كانو" وعمل مدرساً للمواد اللغوية بكلية الشرعية هناك، وأثناء إقامته في"كانو" كان يحضر مجالس الشيخ ناصر الكبرى-رحمه الله- الدعوية والذكرية، وصار العلم شغله الشاغل فلا يرى إلا دارسا متعمقا محبا للعلم منكبا عليه، صاحب بصر نافذ ونفس طلعة لا تكاد تشبع من العلم، ولا تكاد تملّ من البحث.

رحل الشيخ حبيب الله إلى جمهورية مصر العربية عام1986م وشارك في دورة جامعة الأزهر الشريف العالمية للأئمة والعلماء والدعاة، ومن ثم احتل مكانة بارزة بين أقرانه من رجال العلم وعلماء الدين وحملة الشريعة. وقد برز أكثر ما برز في خدمة العلم ونشر العقيدة الصافية من شوائب الشرك والبدع والخرافة.

وبعد انتقال أبوه الشيخ آدم عبد الله الإلوري إلى رحمة الله، تم اختياره خليفة لوالده وبايعه الناس على ذلك وفي مقدمة سمو أمير مدينة إلورن الأمير إبراهيم بن ذو القرنين.

وهو حالياً مدير مركز التعليم العربي الإسلامي وخطيب مسجده، ويتمتع الشيخ محمد حبيب الله بصفاء السريرة و دماسة الخلق والتواضع، وقد عمل منذ اشتغاله منصب مدير المركز على وضع أسس تعليمية وتربوية جديدة للمركز تساهم في رساخة هذا الصرح الإسلام العظيم في نيجيريا رسوخاً"أصلها ثابت وفرعها في السماء"، نامية متجددة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، مواصلاً بذلك الرسالة التي وضع دعائمها الشيخ آدم عبد الله الإلوري.

لقد توتر جميع الثقاة والعلماء المعاصرين على أنه كان على مستوى عال من الأخلاق الفاضلة، يكرم حديث الناس بالإنصات له ويعطيهم من العلم ما يحتاجون إليه، وهم قادرون على فهمه وحفظه والانتفاع به، وكان بشوشاً في وجه الضيوف وأصحاب الحوائج والزوار فلا يكاد يرد لسائله طلباً وكان حسن الخلق صريح العبارة واضح الدلالة في كلامه على م يريد أن يصدع به من الخلق، دون أن يجرح شعور المتحدث أو يمس من كرامته، ومن الفاضلة أنه إذا أراد إسداء النصيحة لأحد من رجاله خاصة أولاده وطلابه يستعمل عبارة لطيفة كريمة ليحسوا حريتهم أمامه.

زار الشيخ كثير من الدول العربية والإسلامية مثل: جمهورية مصر العربية، والكويت وجمهورية إيرانية، إضافة إلى هذا لا يعني أن الشيخ محمد حبيب الله زائر الدول العربية والإسلامية فحسب وإنما سافر إلى بريطانيا وأمريكا لنشر الثقافة العربية والإسلامية.

4. إنتاجـــــاته:

لقد سعى حبيب الله سعيا حثيثاً في نشر كثير من الكتب والمخطوطات وإخراجها إلى حيز الوجود ومن انتاجاته البينة كتابه بعنوان "التصوف الإسلامي وتطبيقاته في نيجيريا"، عالج فيه معاني التصوف وأوضح فيه الاختلافات التي تقع فيها بعض الناس باسم التصوف، ومن مطبوعاته أيضا "الإسلام هو الحل الوحيد"، وعالج فيه دور الإسلام في الأمور الإنسانية اجتماعيا وسياسيا وروحيا، وله خطب منبرية أخر في مختلف الموضوعات الدينية والاجتماعية والسياسية والتربوية.

5. نموذج من الخطبة المنبرية للشيخ حبيب الله آدم:

كانت الخطابة عدة العرب وسلاحهم في الجاهلية، ثم نمت وتطورت في العصور الإسلامية، أصبحت وسيلة لنشر دين الله الحنيف، وامتدت إلى العصر العباسي ولكنها استردت مكانتها في العصر الحديث كثرة الأحداث السياسية، الدينية الاجتماعية، لظهور طبقة من الخطباء المميزين الممتازين النابغين، أمثال عبد الله النديم ومصطفى كامل، وسعد زغلول.

وفي مجتمعنا النيجيري جنوبا، نجد العلماء العباقرة المتفرغين للدّعوة كالأئمة في المساجد، والخطباء المنابر، والوعاظ في المجتمعات والمحفل. ويجدر بنا أن نذكر في هذا الصدد الخطيب المنبري الشيخ حبيب الله آدم عبد الله، كان خطبه تتطرق نواحي مختلفة، وفقا للحوادث والوقائع في المجتمع النيجيري خاصة والعالم عامة، سواء أكانت الدينية أم الاجتماعية أم السياسية دون اعتماده على خطبة واحدة تقليدية. وها هنا نموذج خطبته المنبرية الاجتماعية: نص الخطبة: (**الفســـــاد في المجتمع**).

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله خاتم النبيين وإمام المرسلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على خير البرية محمد بن عبد الله نبي الأرض وعلى آله وصحبه ومن تبع سنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن المجتمعات البشرية وكذا الأنظمة البشرية كلها فقدت وعيها ورشدها، وسادها الظلم والطغيان والاضطراب والعدوان، وانتشر الفساد في ربوع العالم لا يخص مجتمعا دون الآخر، يعيش أكثر المجتمعات تحت خط الفقر والفقدان مما أدى إلى التزيد في البطالة بدرجة لا يستهان بها وإلى سرقة والقتل والاغتيال، وازدياد في الخوف والرعب في أوساط المجتمع على جميع الطبقات، كل هذه الظواهر تؤكد وتحقق قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيد الناس ليذقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون"

إن الإسلام لم يترك المجتمعات البشرية وما تعانيه من أنواع المشاكل والمعانات إلا أعطاها حلاً شافيا وكاملا، يكون حلاً جذريا يستأصل كل نقايا الفساد والظلم والكسل والخوف والطغيان.

إن مجتمع نيجيريا لم يخلص من هذه الظواهر الغاشية المفسدة، فمنذ عقود من الزمن إلى الآن انحدر هذا المجتمع من القيم الصالحة والفضائل المحمودة، والأخلاق المحمودة، وسقط في هوية هالكة تسوده الخونة الظالمة يغمر إرجاءه الاغتيال والقتل والخوف والسرقة، وزادت درجة نسبة البطالة وأصبح كثير من الناس يتساءلون الناس معتمدين على الغير واستصحبوا الكسل والعقود في البيت ينتظرون رزقا يساق إليهم واستنكروا السعي والجد، واحتجوا بالتوكل على الله ناسين أن الإسلام يحب السعي في مناقب الأرض، وهذا السعي وسيلة من وسائل معالجة المشكلات الاجتماعية، وأن النبي (ص) قال: "لأن يأخذ أحدكم حبله فأتى بحزمة الخطب يبيعها يكف الله بها وجهه خير من أن سأل الناس أعطوه أو منعوه". فالمدقق في الحديث النبوي الشريف، يرى أن مهنة الاحتطاب على ما فيها من مشقة وما يحوطها من نظرات الازدراء، وما يرجى فيها من ربح ضئيل خير من البطالة وتكفف الناس، ورغم هذا

كله فالرسول لم يكتف بهذا البيان النظري فضرب للناس مثلا بنفسه وبالرسل الكرام من قبله، حيث قال: ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم، قالوا وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة (نصف عشر الدنانير)، وقال أيضا ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده، وحسبنا ما ذكر ه الحاكم من حديث ابن عباس، أن داود كان زراداً يصنع الزرد والدروع، وكان آدم حراسا، وكان نوح نجاراً، وكان إدريس خياطاً، وكان موسى راعياً، ولا عجب كذلك أننا رينا في أئمة الإسلام وكبار علمائه خلدقم آثارهم ومؤلفاقم العلمية والأدبية كثيرين لم ينسبوا إلى لآبائهم وأجدادهم، ولكنهم نسبوا إلى صناعات وحرف كانوا يعيشون منها، والذين لا يسعون في مناكب الأرض اعتمادا على أخذهم من الزكاة أو غيرها من الصدقات والتبرعات من الآخرين بغير التعب ولا عناء... فإن الإسلام قد بالغ في النهي عن مسألة الناس والتحذير منها.

وما الحديث النبوي الذي أصدرناه ترون كيف رأى الرسول من يرى مهنة الازدراء مع ربحها البسيط خيراً من البطالة التي يركن إليها الكسالى من الناس، الذين يركنون إلى الدعة وعدم تكليف النفس أية مشقة للعمل فيجدون في مسألة الناس أهون الطرق للحصول على المال.

ومما ينبغي ذكره هنا أن التساؤل له صور وأساليب شتى عند بعض الناس، وقد يحسبونها ضربا من العمل والسعي للمعيشة مع أنها ليست إلا تسولا رخيصا مطلبا بطلاء كاذب، ولا نجد أفضل مما قاله الإمام الغزالي رضي الله عنه عن الحرفة التي سماها الكدية أي الشحاذة أي المستعطي لأنه قد شحذ الناس بنظره، تحدث عن ضرورة الحرف والصناعات لانتظام المعيشة ويرى أن اللصوصية و الكدية صنوان لا يختلفان، وري عن أنس رضي الله عنه، أن رجلا من الأنصار أتى النبي(ص) فقال:

أما في بيتك شيء ؟، قال: بلى لبس أي كساء يوضع على ظهر الدابة أو يفرش للجلوس عليه نلبس بعضه ونبسط بعضه وكعوب نشرب فيه الماء قال ائتيني بهما فأتاه بهما فأخذهما بدهم قال من يريد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال اشتر بأحدهما طعاما وانبذه إلى هلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به فشد فيه رسول(ص) عودا بيده ثم قال له اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما فذهب الرجل يحطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما فقال رسول الله (ص) هذا خير لك من أن تجئ المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة أن المسألة لا تصلح إلا لثلاث، لذي فقر مدفع (الشديد) لذي غرم مقطع (الثقيل) لذي دم.

عباد الله، إن هذا الحديث قد احتوى في مضمونه خطوات سباقة سبق بها الإسلام كل النظم التي لم تعرفها الإنسانية إلا بعد قرون طويلة من ظهور العقيدة المحمدية، ذلك لأنه لم يعالج مشكلة السائل المحتاج بالمعونة المادية الوقتية كما يخطر على بال الكثيرين الذي يتصدون لحل مثل هذه المشكلات الاجتماعية في الآونة الأخيرة...

ولقد كانت العقيدة الإسلامية سبقت لكل النظم التي عرفها البشر في حل المشكلات التي عرضت المجتمع البشري الكبير خلال خطواته في دروب الحياة، وجاءك في هذا الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين" ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلو من قبلكم وموعظة للمتقين، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين قد خلت من قبلكم

سنن فسيروا في الأرض فانتظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين.

6. تحـــليل الخطـــبة:

بعد أن حمد الله وأثنى عليه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه أخذ يخطب في موضوعه الذي دل على الفساد في المجتمع مثبتا أن المجتمع البشري كان مفقود الوعي والرشد وأصبح الظلم والطغيان يسودان هذا المجتمع مما أدرى إلى انتشار الفساد في أصقاع العالم ويعيش أكثر المجتمعات تحت خط الفقر والحرمان مما أدى إلى التزايد في البطالة، وإلى السرقة والقتال.

وقد سجل الخطيب في هذه الخطبة أن الإسلام لم يترك لهذه المجتمع البشرية ما تكايده من أنواع المشاكل والاضطرابات بل وهبها حلاً جذرياً. وأقر أن المجتمع النيجيري لم يخلص من الظواهر الغاشية حيث انحدر هذه المجتمع من القيم الصالحة، وأصبح مسوداً على أيدي الظلمة والخونة مما جعل كثيرا من الناس يعتمدون على سؤال غيرهم واستصحبوا الكسل والقعود في البيت تاركين السعي وراء جلب الأرزاق والأقوات اليومية.

وجدير بالذكر، سجل الخطيب موقف الإسلام من توجه الناس بالسؤال وساق في هذه النقطة المهمة كثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة التي منها قوله عليه الصلاة والسلام "لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمه حطب على ظهره فيبيعها يكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه"كما أنه(ص) بيّن موقفه من الرجل من الأنصار جاء سائلاً مما عنده من القوت.

ثم إنه بيّن أن الحديث النبوي الذي ساقه في شأن ذلك الرجل فقد احتوى في طياته على خطوات سبق بها الإسلام كل النظم التي لم تعرفها الإنسان إلا بعد قرون عديدة من ظهور العقيدة المحمدية، وأخيراً أنهى الشيخ خطبته بالآيات القرآنية التي نصت على العبرة والموعظة.

7. بـــــلاغة الخطبة:

إن الملاحظات البلاغية في هذه الخطبة المنبرية القيمة سوف أشير إلى ما وجدت منها في تلكم الخطبة حتى نقف عندها ونكون على علم بها. فإن الخطيب الشيخ محمد حبيب الله آدم رعى في خطبته هذه ما يسمى بـــ"المساواة" تحت علم المعاني، فإن الجمل التي تكونت منها الخطبة تساوت ألفاظها مع معانيها لا واحد منهما زاد على الأخرى والأمثلة على هذه النقطة كثيرة وواضحة في هذه الخطبة الحبيبة.

لقد استخدم الخطيب أسلوب السجع، من حيث التوافق الفصلين في الحرف الأخير وأفضله ما تساوت فقره، ويمكن أن نلمس هذه الملاحظة البديعية في بداية خطبته حيث يقول: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين... وندركها أيضا في قوله: " وكذا الأنظمة البشرية كلها فقد وعيها ورشدها وسادها الظلم والطغيان والاضطراب والعدوان".

وكذلك ندرك أن الخطيب أكثر من استعمال الأسلوب الخبري بأقسامه، مما ندركه بسهولة إذا تصفحنا هذه الخطبة، ولكن الذي كثر وروده هنا هو **الخبر الطلبي**، الذي يؤكد بتوكيد واحد، وهذا الأسلوب هنا ليس بأن المخاطبين يشكون في كلامه لكن لشرف الحكم وتقويته، مع أنه ليس فيه تردد ولا إنكار. والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله: أما بعد/ فإنّ مجتمعنا البشري...وقوله: إنّ الإسلام لم يترك

المجتمعات البشرية وما تعنيه من أنواع المشاكل والمعانات... وقوله إنّ مجتمعنا النيجيري لم يخلص من هذه الظواهر الغاشية.

8. التعليق العام على أسلوب الخطيب.

إن الخطبة المنبرية شيء لا تستهان بها في المجتمع الإسلامي لدورها الفعّالة في المجتمع وذلك لإنقاذ أبناءه من غفلتهم الديني واللغوي، فإن نيجيريا أنجبت الدعاة الأكفاء المتفرغين للدعوة وهم على أشكال،1-الأئمة في المساجد،2-والخطباء المنابر،3-والوعاظ في المجتمعات والمحافل،4-والمدرسون في المدارس والمعاهد والكليات والجامعات وغيرهم، كل هذا هيأ للخطابة مكانة عالية ودور تلعبه في التطور اللغوي العربي في المجتمع النيجيري خاصة، ومجتمع المسلمين عامةً.

والشيخ محمد حبيب الله آدم، كان يلقي الخطب إلى الناس بأجناسهم، وكان خطيباً منبرياً مفلقاً فصيح اللسان قوي العبارة، وواضح أن خطبه تبدأ بحمد الله مقترناً بالشهادتين وتوصية المسلمين بعبادة الله وطاعته، وكما تقترن كل هذه الخطب بكلمة "أما بعد".

فالخطبة على طولها توضح لنا كيف كان الخطيب يعظ الناس بالحكمة وفقا لقوله تعالى: {**ادع ا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**}،ولم تكن خطبته موعظة فحسب بل كانت أيضا تفيض بعلوم الشرعية واللغة باختلاف أغراضها، وتنظيماً لحياة أمة المسلمين دينياً واجتماعياً وسياسياً.

ومما ينبغي على الخطيب أن يكون له أسلوب في كتابة خطبه وإلقائها. وكان أسلوب الشيخ محمد حبيب الله جذل الألفاظ فحم التراكيب واقفاً عند الغرض خالياً من التطاول والتجميل والمبالغة، جارية فيه الضمائر على قانون الوضع، فلا يستعمل

ضمائر الجمع في كلام المتكلم وخطاب الواحد. وفقا فيما امتزت الخطابة في العصر العباسي وملامحها بجزالة الألفاظ، وعدم الالتزام بالسجع، و لم يكن تكلف في تعبيره، متأثراً بأسلوب أبيه الشيخ العلامة آدم عبد الله الإلوري، ونستطيع أن نلاحظ كل هذا في خطبه المنبرية ومجالسه العلمية الوعظية في المسجد الجامع في مركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي ولاية لاغوس عاصمة نيجيريا قديما. وباستماع إلى أمثال هذه الخطبة المنبرية المتواضعة تكون لها دور تلعبها في التطور اللغوي العربي في جنوب نيجيريا، يستفيد منها طلاب العلوم العربية والإسلامية، ودعاة المسلمين فراداً وجماعةً.

الخـــاتمة

لقد تعرضت في هذه الورقة المتواضعة دور الخطابة المنبرية في التطور اللغوي العربي في جنوب نيجيريا، وقد افتتحت هذه الورقة بتعريفات عديدة للخطابة ومفهومها، ثم خصائصها، وأغراضها، ونشأتها عبر العصور الإسلامية المختلفة، لكي نعرف ماهية هذا الفن الخطابي ودورها في التطور اللغوي العربي في المجتمع النيجيري خاصة والعالم الإسلامي عامة.

وجدير بالذكر أتيت بترجمة حياة الشيخ الخطيب مولداً ونشأة وإنتاجاته العلمية والفكرية، وإسهاماته اللغوي في تطوير اللغة العربية في جنوب نيجيريا عن طريق خطبه المنبرية، وعرضت للقرّاء في هذا الصدد خطبته الاجتماعية نموذجاً، مع تحليلها تحليلا بلاغياً. ثم التعليق العام على أساليب الخطيب المذكور في إلقاء خطبته المنبرية وفقاً للحال والمحل، وأسأل الله أخيراً أن يجعل هذا الجهد موفقا ومفيدا للأفراد والمجتمع. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.